النظريةُ السياقيةُ بين البداءة والحداثة ،
دراسة وصفية

Contextual Theory between Beginning and Modernity, a Descriptive Study.

أ.م.د. حازم علاوي الغانمي علي عبد الأمير هبن سريح

Mr. Ali Abdul-Amir Habin Sarih Supervised by: Dr. Hazem Allawi Al-Ghanimi.

كلمات مفتاحية : أساليب النحو القرآني /النحو القديم/ الجملة التركيبية/السياقية.

ملخص البحث

تجربة علمية كان الهدف من خوضها : (١) إجراء منهج منظّم لما يعمد إليه طلبة البحث الأكاديمي من تطبيق عملي في ضوء (نظريّة السياق) و (٢) نظرة تأمّل فيما بيّن من قدّم لهذه النظريّة في الدرس الأصولي القديم من علماء العرب ، وما استُحدث عليها من تسميات وتطوير بسيط ينسب إلى (الأوربيين والمستشرقين) مصادرين بذلك ، وأقصد البعض منهم ، لتلك النظريةّ ، واعتراف من البعض الآخر بها .

ولكن وبمجرّد تحريك العمل في سطور نظمية لا على التعيين ، ما بين شعر ، ونثر وكلام مقدّس ، نجد ظهور تلك التزويقات المصطلحية ، وهذا هو بالطبع ما عمد إليه المحدثون ممّن أعمل النظرية في السياقات المختلفة وما لم ينتبه إليه أكثر ممّن قدّم لها مسبقا من (الأصوليين) ، اكتفوا بمجرّد (التنظير) ، والتنبيه فحسب .

حيويّة هذه النظريّة على بداءتها تكمن في إعمالها في كثير من (الاختصاصات المختلفة) الإنسانية ، ولا أغالي إنْ قلت حتى غير الإنسانية ، فهي لا تزال معطاءة في خبايا مفاهيمها الأوليّة الكثير لهذا فقد ارتأينا أنْ نسلّط الضوء على دراسة مختصرة ، ومفيدة بنفس الوقت لطلاب البحث الأكاديمي في الدرس اللغوي وغير اللغوي ؛ وجاء ذلك في عنوان : ((النظرية السياقية بين البداءة والحداثة ، دراسة وصفية)).

Abstract

A scientific experiment that was conducted: (1) Conducting a systematic approach to the practical application of what students of academic research intend in the light of (Theory Context) and (2) a contemplative view among those who presented this theory in the ancient fundamentalist lesson of Arab scholars, and what names a simple development that were introduced to it, attributed to (Europeans and Orientalists) sourcing this, and I mean some of them, for that theory, and recognition by others of it.

But as soon as we move the work in systematic lines and not on specifics, between poetry, prose and sacred speech, we find the emergence of these terminological embellishments, and this is of course what the modernists who worked the theory in different contexts did not pay attention to it more than those who presented it in advance from (the fundamentalists) They were satisfied with mere endoscopy, and only warning.

The vitality of this theory despite its inception lies in its implementation in many human (different disciplines), and I would not exaggerate if I say even non-humanity, as it is still giving a lot in the secrets of its initial concepts. Therefore, we decided to shed light on a brief study, and at the same time useful for students of academic research in the linguistic and non-linguistic lesson; This came in the title: ((Contextual Theory between Beginning and Modernity: A Descriptive Study.

المقدمة

بعدَ الحمد والثناء لجلالته، والصلاة على رسوله واله وبعد:

تكوّن البحث من مقدمة وتمهيد ومطلبين هما :-

المطلب الأوّل : هذا وقد ابتدأنا البحث بتسليط الضوء على خلاصة ما ورد في البحث الأصولي من بوادر تمتّ بصلة إلى ما أطّر إليه (جون فيرث) في ضوء هيكلة النظرية (السياقية) ، مشيرين إلى الفرق البسيط في ما بين الاختصاصات المختلفة ما بين (البحث الأصولي) ، والبحث النحوي متمثّلاً بتأصيله سياقيّاً عند (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ، وعند (سيبويه) .

أمّا المطلب الثاني : فقد جاء هذا البحث بدراسة وصفيّة لمفهوم السياقيّة عند العالم الإنكليزي ((جون فيرث))، وجرى الحديث حول التعريف بمصطلح السياق في اللغة والاصطلاح، واستعراض سيرة ذاتية لـ((فيرث))، ومن ثمّ الخوض في مفهوم السياق وفقا للمنهج الوصفي وما تقتضيه من تطبيق حول المادة المدروسة، فكان الحديث حول التنظير الذي جاء به فيرث ولم يتعدّاه إلى غيره. فقد جرى الكلام عن السياقية من منظور(فيرث) وانتقالا إلى ملامح التجديد، وأركان السياق، وأسسه ومنطلقاته. وجاء الكلام حول منهج النظرية، وأقسام السياق. وكل ما ذكر جرى سرده في ضوء المنهج الوصفي.

التمهيد

السياق في اللغة والاصطلاح:

السياق لغة: يذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب:((السوق: معروف وساق الإبل وغيرها ليسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسوّاق، وقد ساقت وتساوقت الإبل تساوقا تتابعت، وساق إليها الصداق والمهر سياقا واساقه ... والسياق نزع الروح. يقال فلان في السياق أي في النزع وللسياق نزع الروح...)) [١]

اصطلاحاً: ((هو تلك المجموعات من الكلمات المتراصّة مكتوبة أو مسموعة، إضافة إلى معنى جديد متمثّل فيما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغوية)). [٢]

هذا وقد كان تبلور هذا المنهج في إنكلترا، وقد عرف بأسماء أخرى إلى جانب ((المنهج السياقي)) وقد سمّي أيضا بـ((المنهج العلمي)).

وعندما نتحدّث عن هذا المنهج فنخصّ بالذكر العالم الإنكليزي (جون فيرث)، والذي يعدّ من المجدّدين في هذه النظريّة بما أضاف إليها من ملامح تجديدية سيأتي ذكرها تالياً.

المطلب الأوّل

- نظريّة السياق الأصوليّة -

لا أريد الخوض في التنظير لقضية قد أشبعت بحثا، ودراسة، وبشكل مفصّل، وإنّما أعرض لك أيّها القارئ خلاصة ما وصل إليه البحث الحديث في مسألة، واضع اللبنة الأساسيّة لنظرية السياق، قبل أنْ يزوّقها علماء الغرب ويؤطّروها بهالة من الآليات العملية؛ فهي وعند القدماء وردت بصورة مفاهيم تناثرت في أثناء كتابات البحث الأصولي، متغافلين عن إعمالها، وما لها من دور في كشف كثير من الالتباسات، وتوظيف هذه المفاهيم في كشف بعض النكت القرآنيّة، لا سيّما فيما يخصّ الدرس النحوي، والذي سأعمل عليه في ضوء مفاهيم السياق

الأصولي، كمحاولة منّي، وتأييدا لما ورد في الذكر من أمور حملها البعض منهم، بل غالبيتهم محمل (الشاذ، والنادر، والوحشي و... الخ).

فعند إعمال تلك المفاهيم، وتوظيفها في النص، يتضح للقارئ كثير من الإلتباسات.

((يعود فضل التأسيس لهذا العلم الجليل إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) في كتابه (الرسالة) ... إذ عقد للسياق باباً خاصاً سمّاه (باب الصنف الذي يبيّن سياقه معناه.. حيث عرف فيها (النظرية) بأنّ هناك ظاهر الكلام المستغني بأوّله عن آخره، وغير الظاهر المفتقر إلى القرائن للتوصّل إلى المعنى المراد، وهذه القرائن يوجد عملها في أوّل الكلام أو وسطه أو آخره، أو يوجد في الإشارة، أو في المعنى دون الإيضاح باللفظ))[٣]

((ويعد الإمام الجصّاص الحنفي (ت ٣٧٠ هـ) من أبرز العلماء الذين ساهموا في التأصيل لدلالة السياق... إذ يبدأ مصنّفه (الفصول في الأصول) ببيان الظواهر التي يجب اعتبارها، وهناك درج في الحديث عن امتداد السياق بين الجمل ووضع قواعد وضوابط أصولية... ثم حاول ان يخرِّج عليها مسائل فقهية تتعلّق بتفسير الخطاب الشرعي)) [٤]

(الجصّاص) من أقرب الأصوليّين إلى ما سأعمل عليه في رسالتي، بيد أنّه أعمل السياق في تخريج (المسائل الشرعية)، وأنا أعمل على توظيف مفاهيمه في تخريج مسائل النحو القرآني.

((وكان الجويني (ت ٤٧٨ هـ) من الروّاد الذين التفتوا إلى هذا الجانب، وتناولوا دلالة السياق والقرائن وأثرهما في الاستنباط في كتابه (البرهان في أصول الفقه).. كما إنّه ذكر أثر السياق في الترجيح بين النصوص المتعارضة... وأشاد (الغزالي)في كتابه (شفاء الغليل) أثر السياق في معرفة العلل والمناسبات والمقاصد... كما أشار ابن تيميّة إلى أهميّة استحضار حال المتكلم والمستمع... وأسلوبه ومعهود المخاطب وعرف التخاطب في تفسير الخطاب... ولا تزال كلمة (ابن قيّم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) ملاذ الدارسين لنظرية السياق.. حيث لخّص إرشادات السياق في تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدلالة)) [٥]

ومّما له صلة وثيقة ببحثنا هو ما ذكره (أبو إسحاق الشاطبي) في تأصيله لنظريّة السياق، والذي سنستند عليه في الدفاع عن (أساليب النحو القرآني) لاحقا؛ حيث قال ناقل نصه: ((أشار إلى أنّ للعموم والأمر والنهي صيغا، لكنّ الاستفادة منها في التركيب يتمّ عبر تحليل كل مفردة إلى أصل وضعي قياسي وآخر استعمالي، والقاعدة.. إنّ الأصل الاستعمالي إذا عارض الأصل القياسي كان الحكم للاستعمالي... وقد أسهب الحديث في كيفيّة امتداد السياق ماثلاً في النظم القرآني مشيراً إلى ضرورة ردّ أوّل الكلام على آخره وآخره إلى اوّله بحسب واقعة النزول وسببها وفهم مقتضيات الأحوال فيها ووحدة الموضوع... إذ ذكر الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) قاعدة هامّة في التعرّف على موضع الدلالة في السياق، وهي كيل السياق بما يحويه من قرائن وإفادات، فان قام مقام القرائن القويّة المخصّصة فهو مخصّص، وإلاّ فلا)) [٦]

ما قدّمنا له، وباختصار، هو الأساس الذي نعتمد

عليه في توظيف مفاهيم السياق الأصوليّ، وإعمالها في تخريج النصّ النحوي القرآني، فقد عمل (الأصوليّون)في توظيف النظريّة، لتخريج النص الأصولي، واستنباط الأحكام، وعملي مقارب لعملهم، بيد أنّ الميدان هذه المرّة هو (الأساليب في النحو القرآني) بالمفهوم الخاص.

- السياق في الدرس النحوي القديم -

لقد أولى علماء النحو القديم عناية كبيرة في طرحهم للمادة اللغوية على السياق، وإنّ المطالع لمسائل الحذف، والتقديم والتأخير، وغيرها من مسائل البنيّة اللغوية، وترتيب العناصر اللغوية، يجد أنّهم قد أدركوا روح النظريّة، وكنه ذاتها. ونستعرض بصورة مختصرة، اعتماد بعض العلماء النحويين على السياق بأنواعه في التحدّث عن البنيّة اللغوية.

السياق عند الخليل:

لقد اعتمد (الخليل بن أحمد الفراهيدي) على السياق بشقيّه، اللغوي وغير اللغوي، وذلك في إيضاح معنى البنيّة اللغويّة، وتبيان دلالتها، وخير مثال على هذا الكلام، هو كلامه عن معنى (قد) ودلالتها في التركيب، واختلاف معناها بحسب إختلاف المبنى، فوقوع [قد] كإجابة للذي قال: لم يكتب فتقول في الإجابة: قد كتب: فيقول الخليل: ((إنَّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبر لأيّ شيء وضع هذا الكلام)) [٧]

السياق عند سيبويه:

كثير ما كانت مسائل الحذف، والذكر، وكذلك التقديم والتأخير، تشغل الخائضين في دراستها، وذلك لما لها من أثر سياقي في مباني الجملة، والنص، والتركيب، وتغيّر الدلالة بتغيّر مواقعها التركيبيّة، ومن الأمثلة الكثيرة التي تدلّ على الركون إلى السياق اللغوي، وذلك بالكشف عن العناصر المحذوفة في الجملة التركيبية، هو ما ذكره سيبويه في عدم الحاجة إلى تكرار لفظ (كل)، وذلك في قول الشاعر:

أكلّ إمرئٍ، تحسبين امرأً

ونار توقد بالليل ناراً

وتقدير الكلام (وكل نار)، فقد حذف اللفظ لذكره في أوّل الكلام [٨] ودلالة الأول عليه. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتناثرة في كتب النحو القديم.

السياق عند إبن جنيّ:

تجد مفهوم السياق متمثلاً في كتابه (الخصائص) بقوله: ((قد حذفت العرب الجملة والمفردة والحركة وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته)) [١١]

قال تعالى: ((وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)) [١٠]

مفاد القولين وعلاقتهما بالسياق، هو أنّ حذف المفردة من سياق البنية التركيبية لا يكون إلاّ بدليل أو قرينة تدلّ على المحذوف، وهي (القرينة) إمَّا أنْ تكون من سياق النص نفسه ، او أنْ الموقف الكلامي يدلّ عليها، فقد قال سبحانه وتعالى: ((والحافظات)) وتفادى تكرار قوله: ((الله كثيراً))، وذلك لأنَّ الآيّة حاملة لما حذف من القول معنى يضاف إلى المبنى.

الفرق بين البحثين الأصولي والنحوي في السياق

لا ريب أَنَّ هناك فرقاً فيما بين تناول أصحاب الدرس الأصوليّ لنظريّة السياق في مجالهم ، وكذلك أصحاب الدرس النحوي .

فقد ذكرت الدكتورة (داود صافية) وزميلتها (براهيمي سهام) خلاصة استثمار نظريّة السياق عند الأصوليين ، بالقول : ((يتضح إهتمام الأصوليين بالسياق وكيفية التعامل معه ، لكونه أحد أبرز الوسائل المهمة التي توصّل القارئ إلى المعنى ، واعتمادهم عليه في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه وعباراته التي قد تدلّ على أكثر من معنى ، فالأصوليون أدركوا عناصر السياق ، واستعانوا بها للكشف عن المعنى ، وعنوا بالكلمة على مستوى اللفظ المفرد وعلى مستوى التركيب)) [١١]

وأَمّا فرق البحث النحوي في ضوء السياق عن البحث الأصولي ، فيتمثّل بقولها :(إنَّ النحاة الأوائل اعتمدوا على السياق في دراستهم وأدركوه تمام الإدراك ويظهر ذلك جليّاً من خلال اعتمادهم على ترتيب العناصر اللغوية وعلى ما يطرأ في التركيب من حذف وتقديم وتأخير ...والإعتماد على السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي في التعقيد النحوي .... أمّا سياق الحال فيظهر من خلال اعتمادهم على إرادة المتكلم والمخاطب في تعيين المعنى المقصود ، وحكمهم على صحة التركيب من خطئه) [١٢]

((المفاهيم البدائية لنظرية السياق الحداثوية)

لكي يكون القارئ أكثر قناعة في ما يخصّ أصالة هذه النظريّة عربيًّا ، وهذا ما أقدم على إنكاره أكثر من خاص في تأسيسها حديثاً من الأوربيين ، فأرتيت أنْ استعرض ما وجد من مفاهيم وجدت عند العرب ، هي بمثابة اللبنة الأساسية لما تشكّل حديثا ، بل و تكاد تكون هي نظرِّية قائمة بذاتها ، ولا ينقصها سوى بعض المصطلحات التزويقيّة ، والتي قد تنهض الدراسة بدونها، لا سيَّما في مجال تفسير ، وتفصيل القواعد في النحو القرآني ، وهذا ما تكلّمت عنه في رسالتي في الماجستير ، أثبته بالأدلة الملموسة ، وذلك تحت عنوان : (توجيه المفاهيم) السيّاقية لأساليب النحو القرآني بحسب مفهوم الدكتور جميل أحمد ظفر .

يتضمّن الموروث العربي ثروة كبيرة من تلك المفاهيم ، ولعدم تطويل البحث ، اكتفي بعرض ومضات تضويئية ، مسلّطاً من خلالها الضوء على تلك التركة العظيمة ؛ وهي كالاتي :

- **المفهوم الأوَّل :** قول (أَبي إسحاق الشاطبي) والمتمثّل بـ :((إنَّ العرب تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميقه ... كما أَنَّها ايضا تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدلّ عليه في أصل الوضع ، وكل ذلك ممّا يدلّ عليه مقتضى الحال .... فالحاصل أنَّ العموم إمّا يعدّ بالاستعمال ، ورجوع الاستعمال كثيرة ولكن ضابطها مقتضيات الاحوال التي هي ملاك البيان)) [١٣] .

- **المفهوم الثاني :** (إبن دقيق) والمتمثّل بقوله : ((يجب أَنْ يُتنبّه للفرق بين دلالة السياق القرائن الدالة على تخصيص العموم وعلى مراد المتكلم ، وبين مجرّد ورود العام على سبب ، ولا يجريهما مجرى واحداً ، فإنَّ مجرد ورود على السبب لا يعني او لا يقتضي التخصيص به)). [١٤]

- **المفهوم الثالث :** قول (الشاطبي) : ((الذي يكون على بال من المستمع والمتفهّم هو الالتفات أوّل الكلام وآخره بحسب القضيّة وما اقتضاه الحال فيها)) . [١٥]

- **المفهوم الرابع :** قول (الشاطبي) : ((معنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال. ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها ،.... وإنْ لم يكن ثَمَّ سبب خاص ....)) . [١٦] .

فالوارد في هذه المفاهيم الأربعة ، ما يعرف حديثاً بـ (سياق الحال).

إنتصاف الدكتور تمام حسّان لنظرية السياق البدائية

يشير الدكتور (تمام حسّان) في كتابه : (اللغة العربية معناها ومبناها) إلى دور الأصوليين في الاستناد إلى نظريّة السياق قبل الأوربيين في الخوض في كتاب الله واستخراج أحكامه ، وذلك من خلال الإستناد إلى مفاهيم سياقية لا تظهر نتائج الدراسة إلاّ بها وهي كما يوردها متمثّلة بـ : ((أَنْ لا يغفل عن بعضه ، وأُنْ لا يغفل عن السُنة في تفسير بعضه ، أَنْ يعرف أسباب نزول الآيات ، وأَنْ يعرف النُظم الإجتماعية عنه العرب)). [١٧]

وهذا مثال وهناك الكثير ممّا يماثله ، أو يوازيه في مسألة إنصاف العلماء العرب قبل انشغالهم بنظرية السياق قبل الأوربيين ، ومعرفة كنه ذاتها .

فالخلاصة المستوحاة من مثال الأصوليين ، والوارد في كتاب (تمام حسان) يُعرف عن أصحاب النظريّة الحديثة بمصطلح (المقام) ، والذي يعتمد بدوره على قرائن ، كالتي ذكرت في المثال السابق لفهم الحادثة ، أو استخراج حكم قرآني .

هذا ويشير في موطن آخر من كتابه إلى عناية البلاغيين ((بسياق الحال ما يسمّونه بالمقام وهو الشق الإجتماعي من شقّي السياق العام كما سبق الذكر ، فمقام الذمّ غير مقام المدح ، وهما يختلفان عن مقام الدعاء ، أو الاستعطاف أو الهجاء ، أو غير ذلك وعبارتهم المشهورة (لكلّ مقام مقال) تدلّ على تميّز شقّي السياق)). [١٨]

- **المفهوم الخامس :** قول الطاهر ابن عاشور : ((حظ السامعين للكلام في مقدار الاستفادة منه متفاوت .... وبذلك لم يستغن المتكلمون والسامعون عن أَن تحفّ بالكلام ملامح من سياق الكلام ، ومقام الخطاب ، ومبينات من البساط ، لتتظاهر تلك الاشياء الحافّة بالكلام على إزالة إحتمالات كانت تعرض للسامع في مراد المتكلّم من كلامه)). [١٩].

- **المفهوم السادس :** قول (النسفي) : ((يفهم منه (الكلام) معنى لم يفهم من الظاهر بسبب أَنَّ المتكلّم ساق ذلك النظم لذلك المعنى ، لا بمجرد فهمه من الصيغة)) . [٢٠]

وهنا وفي قول (النسفي) يتبّين تضافر من (السياق اللغوي) ، و (سياق الحال) في فهم الكلام .

- **المفهوم السابع :** قول (السرخسي) : ((ما يزداد وضوحاً بقرينه تقترن باللفظ من المتكلم ليست في اللفظ في ما يوجب ذلك ظاهراً بدون تلك القرينة)) [٢١]

وهذا عينه يمثّل (السياق اللغوي) في الصورة الحداثوية للنظرية .

المطلب الثاني

فيرث والسياقية

مّما لا شكّ فيه أنّ لهذه الشخصية الأثر الكبير في تطوير هذه النظريّة وذلك من خلال ما تفرّد في طرحه من مفردات مستحدثة عزّزت من ثبات أسسها حتى أصبحت السياقيّة تشكّل مفهوما خاصا عند العالم الإنكليزي(فيرث). وقد ذكر صاحب كتاب علم الدلالة الدكتور أحمد مختار عمر بقوله: ((إنّ نظرية فيرث السياقية تنطلق في دراسة السياق من خلال مجموعة الوظائف اللغوية، الصوتية والمورفولوجيّة والنحويّة والمعجمية، والدلالية، فيدرس المعنى على المستويات جميعها، ويجب أنْ ترتبط بسياق الحال، ولقد أعطى فيرث اهتماما كبيراً للسياق، وعدّه الأساس لعلم الدلالة وقد اتبع فيرث علماء آخرين)). [٢٢]

ويقول أحمد مختار عمر: ((إنّ فيرث تأثّر في نظريته السياقية بالأنثروبولوجي بولندي المولد مالينو فسكي الذي عرف عنه في دراسته للدور الذي تؤدّيه اللغة في المجتمعات البدائية أنه يعالج اللغة كصيغة من الحركة، وليس كأداة لانعكاس اللغة في حركتها، والمعنى كما يستعمل، يمكن أنْ ينظر إليهما على أنّهما شعار مزدوج لمدرسته الفكرية)). [٢٣]

وفي إشارة من صاحب كتاب علم الدلالة ، الدكتور (أحمد مختار عمر) ، مفادها أنّ النظرية السياقية في ضوء المنظور الفلسفي هي عينها تلك التي وجدت في تنظيرات (جون فيرث) لنظرية السياق ، ويتضح هذا القاسم المشترك في عبارته المشهورة ، والمتمثّلة بـ ((معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة)) . [٢٤]

هذا وقد نظر (فيرث) إلى مسالة المعنى على أنّها خلاصة علاقات متعالقة متشابكة ومتداخلة فيما بينها، فالمعنى لا يمكن أنْ يتضح للعيان وينكشف إلاّ من خلال ما يسمّيه ب ((تنسيق الوحدة اللغوية)) أي أنْ توضّح في سياقات مختلفة. [٢٥]

ملامح تجديد السياقية عند((فيرث)):

كان من أهمّ ما أضافه فيرث إلى النظرية ما يعرف بالتلازم، والسبب في ذلك متأتٍ من عنايته بالجوانب الشكلية للمفردات المعجمية، إضافة إلى الاهتمام العام باللفظة المعجمية، فورود الدلالات الهامشية ملازمة لدلالاتها المركزية يكون أحد مدلولاتها، هذا وقد وضع ما يعرف بالتلازم ضمن إطار ما يعرف ((بمستوى التحليل الوصفي))، وزجّه في دائرة البحث المعجمي.[٢٦]

أركان السياقية عند فيرث:

تتكوّن السياقية من خلال منظور العالم الإنكليزي((فيرث)) من ركنين رئيسيين هما:

أوّلاً: (سياق النص): والمقصود به ما يتضمّنه النص المكتوب أو المسموع من علاقات متعالقة بين الكلمات، [٢٧] أو هو كما يعبّر عنه الدكتور أحمد محمود بقوله: ((إنّ السياق الداخلي لا يتجاوز وظائفه خارج حدود النص، أي: إنّه يبحث في علاقة الكلمة بالكلمة الأخرى، وعلاقة الكلمة بالجملة، بالإضافة إلى علاقة الحروف والأصوات بالكلمة)) [٢٨]

ثانياً: ((سياق الموقف)): ويأتي من ناحية المفهوم بخلاف الركن الأوّل فهو المتعلّق بالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام المكتوب أو المسموع. ويجد الباحث الفائدة الظاهرة في سياق الظاهرة في

سياق الموقف لفيرث المتأتّية من معالم مالينو فكسي الموجودة في نتاجاته الأنثروبولوجيّة. [٢٩]

أسس السياقية عند ((فيرث))

ذكر ((الأستاذ فوزي حسن الشايب)) في محاضرات ألقاها في اللسانيات أنّ من أهمّ الأسس التي قامت عليها نظرية السياقية هي مجابهة الثنائيات عند دي سويسر، وذلك بوصف اللغة بأنّها عبارة عن ((نشاط معنوي اجتماعي معيّن)). [٣٠] وكذلك كان من ضمن تلك الأسس ((التركيز على المكون الإجتماعي للغة بدل الجانب التجريدي الذهني)) [٣١]

هذا وقد ذكرت شفيقة العلوي أساساً من أسس السياقية عند فيرث مضافاً إلى ما ذكر سابقاً وهو ((دراسة اللغة وفق بيان العلاقة بين اللغة والمجتمع)) [٣٢]

إنّ ماذكر من أسس السياقية كان بمثابة العمدة التي قامت عليها النظرية مؤكدة عنايتها بالمعنى، ((فاعتبرت أنّ الموضوع الأساسي اللسانيات هو تتبّع الدلالات وانصرفت إلى الأحوال والمحيط الذي يتضمّن الإرث الكلامي... ويرى فيرث بأنّ الوقت قد حان للتخلّي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة، والنظر إليه على إنّه مركّب من العلاقات السياقية)). [٣٣]

((منهج نظرية السياق عند فيرث))

تعتمد نظرية (السياقية) في منهجيتها على ثلاثة أركان بصفة عامة، وفي دراسة المعنى بصفة خاصة. يؤكد جون ((فيرث)) في وجوب إعتماد كل معنى لغوي على ما يسميّه بـ((المقام))، هذا بالإضافة إلى ملاحظة كل ما يتصل بهذا المقام من عناصر وظروف، وملابسات وقت الكلام الفعلي وهي:

أوّلاً: ((الظواهر المتصلة بالمشتركين في الكلام والاستماع مع الاهتمام بشخصياتهم)). [٣٤] وتندرج تحت ذلك الأمور الآتيّة:

- ((الكلام الفعلي نفسه)).
- ((إعمال هؤلاء المشتركين في الكلام وسلوكهم)).

ثانياً: ((الأشياء والموضوعات المناسبة المتصّلة بالكلام والموقف))

ثالثاً: ((أثر الكلام الفعلي بالمشتركين كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك)). [٣٥]

رابعاً: ((العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، كمكان الكلام والزمان وحالة الجو، وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممّا يتصل بالموقف الكلامي أيّاً كانت درجة تعلّقه بها، وهذا نابع، من اعتقاد فيرث من أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية وإنّ الكلمات لا تقلّ من الناحية العلمية عن أعمال الإنسان الأخرى التي نلاحظها في الموقف الخاصّ مثلها في ذلك مثل الإشارات والحركات الجسميّة أو الضحك وغيرها ممّا يصحب الكلام الإنساني)) . [٣٦] ويؤكّد (جون فيرث) على إنّ الذي يدعو إلى العناية بالسياق أو المقام هو أنّ الكلمة لا معنى لها ولا قيمة إذا أخذت منعزلة عن المقام والسياق.

المبحث الثاني – منهج وأقسام نظريّة السياق

-الركن الثاني:

يؤكّد (فيرث) على ((وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته لأنّ هذا التحديد يضمن السلامة من الخلط بين لغة وأخرى، أو لهجة وأخرى)). [٣٧] فيجب أنْ يحدّد الدارس المستوى اللغوي الذي سوف

يتعرّض له بالدراسة.

-الركن الثالث: ((الكلام اللغوي عند فيرث))

يرى (جون فيرث) أنّ الكلام اللغوي يتكوّن من أحداث وهذه الأحداث اللغوية معقّدة ومركبّة وعليه يجب تحديدها على مراحل وهذه المراحل هي فروع علم اللغة والنتائج التي تصل إليها هذه الفروع هي مجموع خواصّ الكلام المدروس. وهذه الإشارة تؤكّد على أنّ الوظيفة الأساسيّة لعلم اللغة وفروعه من وجهه نظر (فيرث) هي بيان المعنى اللغوي للكلام وعندما نأتي لبيان معنى كلمة من الكلمات في أي لغة من اللغات الواجب علينا أن نعتدّ بهذا الأسس الثلاثة مع النظر إلى المتكلم دون الفصل بين عقله وجسمه. فاللغة عند فيرث هي: ((مجموعة الخبرات التي يشترك في تكوينها العقل والجسم معاً)) [٣٨]

أقسام السياق عند (فيرث)

قسّم((جون فيرث)) السياق الى أربعة أقسام بتراتبيّة تنازليّة كالآتي:

أوّلاً: ((السياق اللغوي)):

((هو الدلالة الناتجة عن العلاقات بين الكلمات المتجاورة مع بعضها البعض في جملة ما، مّما ينتج عنها معنى خاصّا محدّدا)). [٣٩] ولتقرب المفهوم يورد الباحث كلمة ((عين)) على سبيل المثال، فباتصالها بما بعدها تشكّل معاني جديدة.

ثانياً: ((السياق العاطفي)):

((وهو الذي يحدّد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها العاطفية، كما إنّه يحدّد درجة الانفعال بين القوّة والضعف)). [٤٠] والأمثلة على هذا النوع كثيرة لتقريب المفهوم، منها كلمات ((الذبح، القتل، والضرب، و...إلخ)).

ثالثاً: ((سياق الموقف))

ومفاده كما يقول: ((الظروف أو المؤثّرات التي تؤثّر على الكلام نابع من المحيط الخارجي، وليس من اللغة ذاتها، ويدلّ سياق الموقف على العلاقات المكانية والزمانية التي يجري فيها الكلام)). [٤١]

رابعاً: ((السياق الثقافي))

التفاوت الطبقي بين فئات المجتمع ، فرض على تلك الفئات في طريقة التواصل اللغويّ مفردات مختلفة من حيث المبنى ، ولكنها تؤدي إلى نفس المعنى ، وهذا ما نجده متمثّلاً في حدّ السياق الثقافي عند الدكتور أحمد محمود .

ويعرّف الدكتور أحمد محمود السياق الثقافي بقوله : ((الدلالة التي تؤديها الظروف الاجتماعية أو الثقافية في تحديد معاني الكلمات في سياق ما. مثل كلمة (حرمة) وكلمة (مدام) فالأول يستخدم بين طبقات المجتمع المتوسطة ذات الثقافة القليلة، بينما تستخدم الثانية بين طبقات المجتمع العالية ذات الثقافة المرتفعة للدلالة على الزوجة)) [٤٢]

الخاتمة

أ- كان ما خلصنا إليه من عرض بسيط لبوادر السياق عند (الأصوليين) ، وكذلك النحويين يمثّل المادة الاولية للنظرية ذاتها المزوّقة من قبل الأوربيين والمصادرة من قبل بعضهم من دون الإشارة إلى أصالتها العربيّة .هذا ويتبيّن صحّة ما قدّمنا إليه في ضوء التطبيق العملي وبمجرد (تحريك عجلة النظرية) في ضوء النصوص (اللغوية) ، (وغير اللغوية)

ب- تلك وقفة قصيرة من خلال المنهج الوصفي حول ما ورد في نظرية السياقية بحسب مفهوم جون فيرث، فقد تجاوز الباحث كل تنظير وضع بخصوص هذا المنهج مكتفيا بما جاء به (فيرث)، وهذا بطبيعة ما اقتضته الدراسة الوصفية فالالتزام بحدود الظاهرة عند شخص بعينه من الركائز الأساسية لمشروعية الدراسة. لقد أضاف (فيرث) وحدّد ملامح هذه النظرية، فأصبح هو الأب الروحي لمنهج السياق، وكان مدرسة يحتذى بها من قبل الدارسين في هذا المجال، وقد سار على خطاه من جاء بعده من أمثال (هالياي).هذا وان هذه الأوراق توّفر للباحث في منهج نظرية السياق مجموعة من المفاتيح للدخول الى منهج من مناهج اللسانيات والعمل في النص بما تقتضيه القواعد والخطوات المذكورة.

الهوامش

١- نظرية السياق: دراسة اصولية، دكتور نجم الدين قادر زنكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦، ط١، ص ١١.
٢- نظرية السياق، نجم الدين زنكي، ص ١٢.
٣- نفسه، ص ١٣، ١٤، ١٤.
٤- نظرية السياق، نجم الدين زنكي، ص ١٥، ١٦.
٥- الكتاب، سيبويه، تحقيق: الدكتور عبد السلام هارون، دار الجبل ط١، ج٣، ص ١٠٣.
٦- ينظر: النظرية السياقية في الدرس الدلالي واثرها عند العرب، داود صافية، براهيمي سهام، رسالة ماجستير، ٢٠١٦/ ٢٠١٧ م، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، كلية الآداب، قسم اللغة والادب العربي.
٧- الخصائص، ابو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣، القاهرة ١٩٨٧، ص ٣٦٢.
٨- النظرية السياقية في الدرس الدلالي وأثرها عند العرب ، داود صافية ، براهيمي سهام . جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية ، كلية الاداب واللغات ، قسم اللغة والادب العربي . ص ٢٣ ، د. ط ٢٠١٦ م ، ٢٠١٧ .
٩- المرجع نفسه ، ص ١٧ – ١٨ .
١٠- الموافقات في اصول الشريعة ، لأبي اسحاق الشاطبي ، تحقيق ابراهيم رمضان ، بيورت : دارا المعرفة ،ط٣ ، ١٤١٧ هـ ، ص : ٢٣٩ – ٢٤٠ .
١١- احكام الاحاكم ، لابي الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد ، تعليق محمد منير الازهري ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، مجلد ١ ، ١٤٢٠ هـ ، مجلد ١ ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .
١٢- الموافقات في اصول الشريعة ، الشاطبي ، مجلد ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٧٥ .
١٣- نفسه ، مجلد :٢ ، ج :٣ ، ص : ٢١٤.
١٤- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسن ، ص : ٣٤٨ ، عالم الكتب القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٣م .
١٥ المصدر نفسه ، ص : ٣٣٧ .
١٦- مقاصد الشريعة الإسلاميَّة ، للطاهر بن عاشور ، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي . البطائر للانتاج العلمي ، ط١ ، ١٩٩٨ م ، ص : ١٣٥ .
١٧- كشف الاسرار ، شرح المصنف على المنار ، لابي البركات عبد الله ابن احمد النسفي (ت ٧١٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت ، د. ط ، ج :١ ، ص ٢٠٦ .
١٨-المحرر ، للسرخسي ، ص : ١٢٢ ، نقلا من كتاب : نظرية السياق دراسة اصولية ، دكتور نجم الدين قادر زنكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .
١٩-الاحزاب، ٣٥.
٢٠- لسان العرب، ابن منظور، المجلد ١٠، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١٦٦.
٢١- النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا، ناريمان براح، ص:٦.
٢٢- علم الدلالة، احمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م، ص:٦٩.
٢٣- علم الدلالة، احمد مختار عمر، ص:٧١،٧٢.
٢٤- المصدر نفسه، ص:٦٨

٢٥- المصدر نفسه، ص:٦٨
٢٦- ينظر: علم الدلالة إطار جديد، بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد: مصر: دار المعرفة الجامعية، ص:١٤٥.
٢٧- اللسانيات النشأة والتطوير، أحمد مؤمن، ط٢، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص:١٧٧.
٢٨- دلالة السياق في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث، أحمد محمود عبد الله، كلية اللغات واللسانيات، جامعة ملايا، ص:٣٨٠.
٢٩- المصدر نفسه، ص:٣٨٠.
٣٠- محاضرات في اللسانيات، فوزي حسن الشايب، عمان وزارة الثقافة، ١٩٩٩، ص١٠٣.
٣١- النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا، ناريمان براح، الجزائر، كلية الآداب، ص:٧٠
٣٢- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيفة العلوي، بيروت، ج١، ص٨٧.
٣٣- النظرية السياقية، ناريمان براح، ص:٧١.
٣٤- محاضرات في علم الدلالة، رفاه عبد الحسين، جامعة كربلاء كلية العلوم الإسلامية،٢٠١٩م.
٣٥- علم الدلالة، احمد مختار عمر
٣٦- محاضرات في علم الدلالة، رفاه عبد الحسين، ص:١٨
٣٧- المصدر نفسه، ص١٨
٣٨- محاضرات في علم الدلالة، رفاه عبد الحسين، ص:١٨.
٣٩- علم الدلالة، احمد مختار عمر، ص:٧٠٦٩
٤٠- مبادى اللسانيات، أحمد محمد قدور، ط٣، دمشق، دار الفكر، ص:٣٥٢،٣٥٥.
٤١- دلالة السياق اللغوي، احمد محمود عبد الله، ص ٣٨٤
٤٢- دلالة السياق اللغوي، أحمد محمود عبد الله، ص:٣٨٤

المصادر والمراجع

١- احكام الاحكام ، لابي الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد ، تعليق محمد منير الازهري ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، مجلد ١ ، ١٤٢٠ هـ ، مجلد ١ ، ج ٢ .

٢- دلالة السياق اللغوي في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث، أحمد محمود عبد الله، كلية اللغات واللسانيات، جامعة ملايا.

٣- علم الدلالة إطار جديد، بالمر، ترجمة، صبري إبراهيم السيد، مصر، دار المعرفة الجامعية.

٤- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط١، دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢.

٥- كشف الاسرار ، شرح المصنف على المنار ، لابي البركات عبد الله ابن احمد النسفي (ت ٧١٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت ، د. ط ، ج :١ .

٦- لسان العرب، ابن منظور.

٧- اللسانيات النشأة والتطوير، أحمد مؤمن، ط٢، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

٨- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسن ، ص : ٣٤٨ ، عالم الكتب القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٩- مبادى اللسانيات، أحمد محمد قدور، ط٣، دمشق، دار الفكر.

١٠- محاضرات في اللسانيات، فوزي حسن شايب، عمان وزارة الثقافة، ١٩٩٩

١١- محاضرات في المدارس اللسانية، شفيقة العلوي، بيروت.

١٢- محاضرات في علم الدلالة، رفاه عبد الحسين، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية،٢٠١٩

١٣- المحرر ، للسرخسي ، ص : ١٢٢ ، نقلا من كتاب : نظرية السياق دراسة اصولية ، دكتور نجم الدين قادر زنكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .

١٤- مقاصد الشريعة الإسلاميَّة ، للطاهر بن عاشور ، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي . البطائر للانتاج العلمي ، ط١ ، ١٩٩٨ م .

١٥- الموافقات في اصول الشريعة ، الشاطبي ، مجلد ٢ ، ج ٣ .

١٦- الموافقات في اصول الشريعة ، لأبي اسحاق الشاطبي ، تحقيق ابراهيم رمضان ، بيورت : دارا المعرفة ،ط٣ ، ١٤١٧ هـ .

١٧- النظرية السياقية في الدرس الدلالي وأثرها عند العرب ، داود صافية ، براهيمي سهام . جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية ، كلية الاداب واللغات ، قسم اللغة والادب العربي . ص ٢٣ ، د. ط ٢٠١٦ م ، ٢٠١٧ .

١٨- النظرية السياقية في الدرس اللساني قديما وحديثا، ناريمان براح، الجزائر كلية الآداب.